حجرة التحمس !

ما دخلها قط إنسان إلا انقلب بعد دقائق مهما بدا من هدوئه أول الأمر متحمساً من أشد المتحمسين ؛ شهدت ذلك بنفسي وأنا قابع في ركن منها أتفرج من وراء منظاري على ما لم أستمتع بمثله في أية دار من دور اللهو ...

هي حجرة في ديوان إحدى الوزارات كتب على بابها : « المستخدمين » هكذا بالجر ! دخلتها والحر شديد وبنفسي ضيق وضجر فسرعان ما روح عني الضحك المتصل حتى لقد أنساني ضجري كما أنساني ما جئت له ...

الحجرة صغيرة مزدحمة بالقماطر وما يسميه الموظفون بالمكاتب ، وعلى كل قطر ماعدا واحداً أضابير من الورق يعلم الله مبلغ ما قضته كل ورقة حيث رأيتها من عمر ...

وأمام كل قطر — ماعدا واحداً غير ذلك الذي خلا من الورق — موظف ، وهم جميعاً فيما يخيل إلي من أعمارهم دون الأربعين وفيهم من هم دون الثلاثين ...

وكان أحدهم يقضم قضمات من رغيف أمامه ويأتدم بقطعة من الجبن ؛ وكان آخر يطالع في جريدة ؛ وكان ثالث يشرب القهوة ، واشتغل أربعة بأوراقهم ، وبقي واحد لا يعمل شيئاً قط فليست أمامه ورقة وليس في يده قلم أو صحيفة أو شيء مما يؤكل أو يشرب وكان ينظر في ساعته بين حين وحين ليرى متى ينصرف ... وفهمت أنه من « المحاسيب » الذين يعينون لا ليعملوا ولكن ليرتزقوا ...

ودخل كهل هادىء الحركة فقصد أحد القماطر ورفع صاحبه رأسه فتجهم وتكره إذ رآه ، مع أن القادم كان يبسم له ويظهر الاحترام ويختار أرق الكلام ؛ ولكن سرعان ما ارتفع صوته وهو يقسم بالله العظيم ثلاثاً ويهز سبابته كما يفعل الخطيب أنه جاء من أجل مسألته ما لا يقل عن ثلاثين مرة ، ولا يدري ما يعمل بعد ذلك . وبلغ به التحمس أن أعلن أنه ذاهب من فوره إلى المدير ، وقالها بلهجة من ينذر بالموت كأن الذهاب إلى المدير عنده فيه القضاء على الموظف المسكين ، وخرج من الحجرة ، وما استدار ليخرج حتى أخرج له ذلك الموظف لسانه وضحك هو وزملاؤه ملء أشداقهم ...

ولم يكد يبتعد خطوة حتى دخل شاب يمسح العرق عن جبينه وصفحة وجهه بمنديله ، ودنا من موظف آخر وسأله لعله يذكر موضوعه ، فقال له في دماثة متكلفة وهو يكتم ضحكه « أيوه ياسعادة البيه ، مر علينا بعد ثلاثة أيام تجد كل شيء على ما يرام » ؛ وتحمس سعادة البك تحمساً صامتاً تجلى في اجرار وجهه وإرساله الزفرات وانصرف ليمر بعد ثلاثة أيام ؛ وتفكه الموظفون بالسخرية من سعادته والتهكم عليه .

ودخل ثالث فسأل أحدهم عن أمر فقال له « عند فتحي افندي في الحسابات » ، فخرج ثم عاد بعد قليل ليقول إن فتحي افندي لا علم له بالأمر ، فقال له « اترك لي المسألة ومر بعد يومين أو ثلاثة تجدها خالصة » ففكر صاحبنا في الأمر قليلا ثم بدا له فتحمس وصاح قائلا « ماهذا ؟ أديوان حكومة هو أم دكان ؟ ودق القمطر بيده قائلا إنه ذاهب إلى المدير ، وانطلق والتحمس ملء بدنه ، وتحمس الموظفون في الضحك منه ...

ودخل رابع تبدو عليه الرزانة والتؤدة ، فسأل عن عبدالنعم افندي من يكون فدله أحدهم عليه ، فمشى إليه في عسر بين القماطر وأخرج علبة سكائره ومد بها إليه يده وألح حتى تناول واحدة ، ثم كلمه في صوت خافت ، فتظاهر أنه يفكر ثم قال : مر غداً فإن عمر افندي غائب وهو الذي عنده مسألتك . فقال لقد جئت مرتين وعملي في حضن الجبل وأنا قادم هذه المرة في « تكسي » وهو عند الباب يدور عداده فهلا صنعت معروفاً فأعنتني ، فأجابه لا يمكن حتى يحضر عمر افندي ، وانصرف عنه إلى أوراقه ، فهز صاحب « التكسي » رأسه مرات وتنهد ثم قال وقد انقلب هدوؤه ثورة ، وإنه ليدق القمطر بيده دقات عنيفة : ماهذا ، مرة عمر افندي في

البنك ومرة عند المدير ومرة فى أجازة ... هذا لعب ومسخرة وقلة ذوق ... وبدا التحمس فى جميع حركاته وإشاراته ... وانطلق من الحجرة يتوعد ويتهدد .

وجاء الخادم يطلب عبد المنعم افندى لمقابلة المدير ، فذهب إليه ثم عاد بعد دقيقة ففتش فى قطر عمر افندى وأخذ منه أوراقاً ، وخرج ثم رجع بعد قليل يقول لزملائه « خلصنا منه يا سيدى ، وأمضى المدير أوراقه وبلاش غلبة ونفخة كدابة »

ودخل بعد لحظة شيخ معمم ذو لحية فحيا بتحية الإسلام ثم ضم أطراف جبته بيده ومضى إلى أحدهم ينفذ فى عمر بن القماطر ، فقال له هل وجدت الورق ؟ فقال : لا زلت أبحث عنه . وما كاد ينطق بهذا حتى صرخ الشيخ قائلا ما هذا ؟ حتى متى تسخر من ذقنى هذه يا ولد ؟ ونهض الأفندى مغضباً يدق القمطر بقبضته ويقول عيب ياسيدنا الشيخ لو لا أنك كوالدى ... ودق الشيخ بقبضته قائلاً العيب أن تكذب وأن تضيع الأوراق وتستخف بمصالح الناس وأوقاتهم ، وعاد الموظف يدق بيده دقات ويقول عيب يا سيدنا الشيخ ، والشيخ يعقب كل دقة منه بدقة من قبضته القوية حتى أيقنت أن القمطر لا شك متحطم ؛ ولكنى لم أحفل بالقمطر وإنما خشيت أن تنقلب الدقات لكمات أو لطمات ، فقد بلغ تحمس الشيخ أقصاه وجحظت عيناه واصفر وجهه ودنا من الفتى ولولا أن سحبه إخوانه سحباً من وجه الشيخ لأهوى عليه بكلتا يديه ؛ وخرج الشيخ وهو يستنزل خيبة الله عليه .

وساد فى الحجرة الصمت لحظة ، ولم يفطن الموظفون إلى وجودى إلا وهم فى هذه الحال من الحزى والغم ، فسألنى أحدهم ما طلبى ، فأشرت إلى مكتب عمر افندى ، فقال إنه لن يحضر اليوم ؛ ومعنى ذلك أن أنصرف ؛ فنهضت للخروج وإنى لأقسم للقارىء بمحرجات الأيمان غير متحمس ، أنى ذهبت إلى تلك الحجرة من أجل مسألتى أكثر من خمسين مرة فى مدة سنتين ، وقضاؤها والله لا يستغرق ساعة ؛ ولم أستدر عند الخروج ، بل خرجت بظهرى مخافة أن يسروا عن صاحبهم بحركة منهم يكون فيها الزراية علىّ .

الخفيف

(الزنكاون)

عامر بدر

خواطر مسجوعة:

الشـــــعر . . .

إذا جاد الفكر ، بالمعنى البكر ، وكان الترجمان أميناً عادلا ، فألبس المعنى لفظاً معادلا ؛ واشترك القلب مع القلم فيما كتب ، وصرت الحياة فى كل وتد وسبب ؛ فحكى البيان ، حديث الوجدان ، وارتسم الإحساس ، على القرطاس ، وبرز السر المكتوم فى در منظوم ... فذلك هو الشعر ، وذلك هو السحر !

وما لا تنبض بالحس قوافيه ، فهو نظم مزهود فيه ، ومالا يصور حقيقة الحياة ، فهو من البضاعة المزجاة !

وليس بحراً ما لم تسمع تصفيق لجته ، وتسبيح موجته ، ولا بيتاً ما كانت دعامته واهية ، وأركانه متداعية !

والإحسان فى غير ما أطاع ، ليس بمستطاع . فالشعر يقرض قرضا ، وليس يفرض فرضا ؛ فإن اغتُصب ، أخطأ ولم يصب . وما يدعو ولا يدعى ، فهو إلى الاجادة أدعى ؛ فما دعاك فأطعه ، وما لم يدعك فدعه ؛ وإلا فإنك تعانى ما تعانى ، فى اغتصاب الألفاظ والمعانى ؛ مضللا فى القوافى ، زاعما أنك رب القوافى !

والشعر أنفاس طروب ، أو نفثات مكروب ؛ فآنا تشمه نفحا ، وآنا تحسه لفحا ، وله فى الحالين هزته المؤثرة ، وقوته المعبرة . فكم أيقظ غافياً ، وأسكر ساحياً ! وكم ثورة أقامها ، وثورة أنامها ؛ فجرد سيف الناصر ، وأغمد سيف الثائر . وكم هز بالبيت محفلا ، وأعز به جحفلا ! وكم أعد به جيلا ، وصد به قبيلا ! وكم حمى وأجار ، فى غير تلك الديار ! !